العروبة الكبرى

بقلم : الاستاذ نجوى عارف قعوار

ان المتأمل في سير التاريخ ، تلفت نظره خمس محاولات كبرى اثرت في سير الحضارة الى مدى بعيد وصهرت مجموعة كبيرة من الشعوب والعناصر بوتقتها وهي الامبراطورية المصرية ، والتوسع اليوناني عامة والحركة الهلينيه منه خاصة والفتح الروماني ، والفتح العربي ، والكومنولث الانجليزي وليس معنى هذا ، ان لم تنشأ دول وأمم لعبت دوراً خطيراً في نفوذها وتأثيرها كالامبراطورية الفارسية ، ولكن الذي أحاول تفسيره ان الدور الذي لعبته الشعوب المذكورة اثر الى حد بعيد في سير التاريخ ، فلو لا كل دعامة من هذه الدعامات الخمس ، لتغير وجه التاريخ ، هذا ناهيك ان هذه المحاولات كانت اقرب مايكون الى الفكرة العالمية ، بتقديم كل منها نوعا من الثقافة التي تزود بها عناصر مختلفة من الشعوب ، كما وتمدها هذه الشعوب بدورها بالوان من انتاجها الخاص لتصهره في هذا الانتاج الاكبر . وليس يعنيني في بحث اليوم ان هذا القرب من الفكرة العالمية ، جاء متعمداً ، وعن نوايا انسانية خالصة ، وهو على كل حال لم يجيء من مثل هذه الدوافع ، واكثره جاء بطريق غير مباشر ، بينما كانت تلك الامة تفرض نفوذها ، فاذا بها تجمع الشمل ، وتقرب الناس ولكن الذي يهمني ان التأثير العربي ، والذي هو متمثل فينا اليوم ، هو واحد من هذه التأثيرات الخمس ، وان شئت فقل التيارات الخمس التي اثرت تأثيرا بالغاً في بحر الانسانية الكبير وإذا ما انتهيت من هذا ، فالى اي حد تؤثر هذه العروبة الكبرى على حياتنا اليوم وتتصل بمشاكلنا .

وانا ككثير من سكان العالم العربي اؤمن بالعروبة الكبرى دواء ناجعاً لمعالجة مشاكلنا الكثيرة وحصنا منيعا يؤيد وضعنا الحالي لنواجه به المشاكل العالمية .

وإنها لنعمة من نعم الله ان ننتمي نحن الى واحدة من هذه المدنيات العظيمة ، وان تبقى شخصيتنا باقية الى هذا اليوم بينما يد الزمن قد بددت ثلاثة من الشعوب الاخر ، وغيرت من حالها ولم يبق منها إلا تراثها ، بينما شخصية الشعب قد انسابت في حياة شعوب جديدة ثم يجيء العصر الحاضر فيستبد بمصير الناس أمران اولهما القوة المادية ، وثانيها المقدرة على التكتل وخلق روابط تقرب طائفة من الناس لبعضها ، لتواجه بها كتلة اخرى من الناس ، ويلتفت العرب الى العرب الى انفسهم ، فاذا بالعامل الثاني ، في نفوذ الشعوب واثرها ، جاهز في حياة الغرب من قرون بعيدة ، مما يجعل تأثيره ابلغ واعمق . وليس لنا الا ان ننظر الى الصراع العنيف الناشب بين الدول ، وكيف تلجأ الى التكتل ليرد بعضها على البعض الآخر ، فنفزع نحن الى هذه العروبة الكبرى ، لنجدها الاداة الوحيدة والفعالة ، التي تضمن لنا الحياة الحرة والشخصية القوية في هذا الصراع العنيف وينفرد الشرق الاوسط بالاضافة الى ماذكر بحاجته الماسة الى مثل الايمان بالعروبة الكبرى نظراً لمشاكله الناجمه من مركزه الجغرافي ، وهذه المشاكل هي اولا كون الشرق الاوسط نقطة الاحتكاك بين القوى الدولية المختلفه ، وثانيا انه مصدر ينابيع البترول في العالم ، وثالثاً انه أقصر طريق بري وبحري وجوي بين الشرق الذي ينتج المواد الخام ، وبين الغرب الذي تقوم موارد رزقه على تحويل هذه المواد الخام الى منتوجات ومصنوعات ، واخيراً انه خط دفاع له شأنه في الحروب ، وهذه الخصائص المذكورة في وضع الشرق الاوسط ، والتي هي اليوم سبب مشاكله الرئيسية بامكانها ان تتحول الى امتيازات ومصادر قوة ونفوذ في حياة الشعب الذي يسكن الشرق الاوسط ، وقد ورثه من اجيال بعيدة .

وغني عن القول ان القوة التي ستحول الشرق الاوسط الى منطقة ذات نفوذ مستمد من حياة مواطنيه هو هذه العروبة الكبرى التي تشمل التراث واللغة والاماني القومية والوحدة في الشعور والهدف . وانه لما يثلج الخاطر ان يقظة العرب ونهضتهم الحديثة تستمد اسباب تمارينها من مثل هذا الايمان ولكن تحقيق هذا الحلم الجميل يحتاج الى كفاح طويل ، فهذه البلاد اليوم تختلف اوضاعها السياسية ؛ ويتفاوت مدى

تحصيلها الثقافي ، عدا ان خصائص الشرق الاوسط المار ذكرها ،قد جعلته مطمع انظار الشعوب ، فقد سطا الغرب على ديار العرب ومنازلهم ، فشرحوها ومزقوها كما شاءوا ، وعبثوا بمقدرات الشعب الآمن والذي كان العصر التركي قد جمده وأخمد تفكيره ونشاطه .

والعرب اليوم في محاولتهم للتكتل وعزمهم على مواجهة مشاكل كل بلد عربي من بلدان الشرق الاوسط بداً واحدة انما هم يقطعون مرحلة مهمة في سبيل هذا الإيمان ، وغني عن الذكران هذه المحاولة لمواجهة قضايا العرب كتلة واحدة هي الاختبار العملي ، لهذا الايمان ومدى فعاليته وتأثيره .

وانا احب ان اخلص من هذا لأشير الى ان العرب فوعروبتهم الكبرى هذه هم اصحاب مسؤلية جليلة ، فحركة التحرر التي يعمل العرب لها اليوم ان هي إلا وسيـــلة ـ وليست غاية ـ لهدف أسمى، الهدف هو ان يؤدي العرب رسالتهم في حقل الانسانية الثقافي ، فالعرب اليوم هم الممثلون لهذه الدعامة العظيمة في صرح المدنية ، والتي اشرت اليها في بداءة الحديث ، ومن واجبهم ان يستمروا فيها ، يساعدهم على ذلك ماضيهم النير ، وموقعهم الجغرافي الذي تلتقي به مختلف الثقافات ، ومميزات عقليتهم وخصائص مزاجهم ، ولن يسمح لي المجال في هذا الحديث ، ان أتعرض الى نواحي العقلية العربية ويكفي ان اشير هنا بكلام مطلق الى ان هذه العقلية تتميز بميل نحو تحقيق مثالية الامور ، وتقرب الاشياء بشعورها وعواطفها . وتلبي الدوافع بحماس وحرارة ؛ وانا لست احاول في هذا ان ابرهن ان العقلية العربيـة خاصة ، والشرقية عامة افضل من غيرها من العقليات ، و كفى ان اشير هنا انها تختلف عن العقليـة الغربية مثلا والتي تسير العالم في الاتجاه الذي يسير فيه الآن والعالم يحتاج اليوم الى شكل من اشكال الاختلاف .

واذا بالاضافة الى هذا استطيع ان أذهب الى ابعد مما ذكرت ؛ فأنا أومن بالعقلية العربية ؛ والمواهب العربيـة ؛ إيماني بعبقرية قد ركدت مدة من الزمن ثم اسيتقظت بعـد ان نالت قسطاً من الراحة ؛ استيقظت متحفزة نشطة لتواجه مشاكل جديدة ، وقضايا جـــديدة ؛ بل لتبصر حولها آفاقا

أبتسم

عن ديوانه (الشامل) لإيليا ابو ماضي

قال : الليالي جرعتني علقما ... فلت: ابتسم ولئن جرعت العلقما
فلعل غيرك ان رآك مرنما ... طرح الكآبة جانباً وترنما
اتراك تغنم بالتبرم درهماً ... ام انت تخسر بالبشاشة درهما
ياصاح لاخطر على شفتيك ان ... تتألما والوجه ان يتحطما
فاضحك فان الشهب تضحك والدجى متلاطم ، ولذا تحب الانجما
قال البشاشة ليس تسعد كائنا ... يأتي الى الدنيا ويذهب مرغما

جديدة من الثقافة والتهذيب فتسعى اليها لتعانقها ؛ وتذيب قرائحها فيها ؛ ولتصف ماتشعره اثناء سيرها في طريق الحياة الجـديد .

إن الغرب قد تناول ميادين العلم والثقافه ؛ وبحث فيها حسب عقليته ؛ وخلق من العلم التطبيقي هذه القوى المادية وما يتبعها من فلسفة ونظم واتجاهات ؛ وسير العالم في سلك جديد ؛ وهو سلك شائك وعر ؛ رغم مايعتبه من رفاه مادي والعالم بعد ان استنزف موارد هذه العقلية وخضع لها يحتاج الى من يتسلم زمام هذا المسلك اليوم ليدخل عليه تحسينـا وتغييرا . فهل يعود دور الغرب في ظل العروبة الكبرى ليتنا ولوا هذه الثقافة ويؤثروا فيها ؛ ولعلهم يحولون مسراها الى هدف اسمى من هذا الذي تنخبط فيه اليوم ؛ هدف يعنى بقيمة الانسان ؛ ويجعله سيداً للآلة التي هو اليوم عبـدها . هدف يمكن الناس لان يبلغوا غاية امكانياتهم ؛ وبذلك يحققون وجودهم .

لاشك انها غاية جليلة تحتاج الى كفاح العالم بأسره ؛ ولكني اومن بالعروبة الكبرى التي قربت الناس الى بعضهم في الماضي فحققت بذلك مرحلة من الثقافة العالمية ؛ ان تسدى في المستقبل القريب قسطاً كبيراً لتحقيق مثل هذا الصنيع في الحقل الانساني الكبير ؛ لان مشاكل العالم اليوم تحتاج لى عقلية جديدة لتعالجها ؛ وتقود دفتها ؛ فالمادية الغربيـة قد خلقت قوى عظيمة ولكنها لم تخلق نفوساً كبيرة للسيطرة عليها .

فلسطين — نجوى قعوار